والاحسان العظيم ما لا يحتمل لغيره ويسامح بما لا يسامح به غيره كما قال الشاعر
۞ واذا الحبيب اتى بذنب واحد ۞ جاءت محاسنه بالف شفيع ۞
ولا شك ان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الحبيب الاعظم ذو المحاسن والا
الاكبر فما هذه العقوبة المضاعفة والتهديد الشديد الوارد ان وقع منه
ما يكره وكم من راكن الى اعدائه ومنقول عليه من قبل نفسه لم يحيا به حي
كارباب البدع ونحوهم فالجواب انه لا تنافي بين الامرين فان من كملت
عليه نعمة الله واختصه منها بما لم يختص به واعطاه منها ما لم يعط غيره
فحباه بالانعام وخصه بمزيد القرب والاكرام اقتضت حاله من حفظ
مرتبة القرب والولاية والاختصاص ان تراعي مرتبته من ادنى مشوش
وقاطع فلشدة الاعتناء به ومزيد تقريبه واتخاذه لنفسه واصطفائه
على غيره تكون حقوق وليه وسيده عليه اتم ونعمه عليه اكمل فالمطلوب منه
فوق المطلوب من غيره فهو اذا غفل او اخل بمقتضى مرتبته نبه بما لم ينبه
عليه البعيد مع كونه يسامح بما لا يسامح به ذلك ايضا فيجتمع في حقه
الامران واذا اردت معرفة اجتماعهما وعدم تناقضهما فالواقع شاهد بذلك
فان الملك يسامح خاصته واولياءه بما لا يسامح به من ليس في منزلتهم ويواخذهم
بما لم يواخذ به غيرهم وانت اذا كان لك عبدان او ولدان احدهما احب اليك من
الاخر واقرب الى قلبك واعز عليك عاملته بهذين الامرين واجتمع في حقه المعاملتان
بحسب قربه منك وحبك له وعزته فاذا نظرت الى كمال احسانك اليه واتمام
نعمك عليه اقتضت معاملته بما لا تعامل به من دونه من التنبيه وعدم
الاهمال واذا نظرت الى محبته لك وطاعته وخدمته وكمال عبوديته
ونصحه وهبت له وسامحته وعفوت عنه بما لا تفعله مع غيره فالمعاملتان
بحسب ما بينك وبينه وقد ظهر اعتبار هذا المعنى في الشرع حيث جعل
حد من انعم عليه بالتزويج اذا تعداه الى الزنا الرجم وحد من لم يعطه هذه
النعمة الجلد وكذلك ضاعف الحد على الحر الذي قد ملكه نفسه واتم عليه نعمته
ولم يجعله مملوكا لغيره وجعل حد العبد المنقوص بالرق الذي لم تحصل له هذه
النعمة نصف ذلك فسبحان من بهرت حكمته في خلقه ۞
۞ فلله سر تحت كل لطيفة ۞ فاخو البصائر غائص متعقل ۞
واما قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فقيل معناه ما كنت
تدري الايمان على التفصيل الذي شرع لك في القران وقال ابو العالية هو بمعنى

الدعوة

الدعوة الى الايمان لانه كان قبل الوحي لا يقدر ان يدعو الى الايمان بالله تعالى
وقيل معناه انه ما كان يعرف الايمان حين كان في المهد وقبل البلوغ حكاه
الماوردي والواحدي والقشيري وقيل انه من باب حذف المضاف
اي ما كنت تدري اهل الايمان اي من الذي يومن ابو طالب او العباس او
غيرهما وقيل المراد به شرايع الايمان ومعالمه وهي كلها ايمان وقد سمى الصلاة
ايمانا بقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس فيكون
اللفظ عاما والمراد الخصوص قاله ابن قتيبة وابن خزيمة وقد اشتهر في
الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان يوحد الله ويبغض الاوثان ويحج ويعتمر
وروى ابو نعيم وابن عساكر قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت
وثنا قط قال لا قالوا فهل شربت خمرا قط قال لا قال وما زلت اعرف
ان الذي هم عليه كفر وما كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان وقد
ورد ان العرب لم يزالوا على بقايا من دين اسماعيل كحج البيت والختان
والغسل من الجنابة وكان عليه السلام لا يقرب الاوثان ويعيبها ولا
يعرف شرايع الله التي شرعها لعباده على لسانه فذلك قوله تعالى
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولم يرد الايمان الذي هو الاقرار
بالله لان اباءه الذين ماتوا على الشرك كانوا يومنون بالله ويحجون مع
شركهم انتهى والله اعلم

المقصد السابع في وجوب محبته واتباع سنته والاهتدا بهديه وطريقته وفرض محبة اله واصحابه وقرابته وعترته وحكم الصلاة والتسليم عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه وفيه ثلاثة فصول

الاول في وجوب محبته واتباع سنته والاقتدا بهديه وسيرته صلى الله عليه وسلم

اعلم ان المحبة كما قال صاحب المدارج هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون
واليها شخص العاملون والى علمها شمر السابقون ۞ وعليها تفانى المحبون
وبروح نسيمها تروح العابدون ۞ فهي قوت القلوب وغذا الارواح
وقرة العيون ۞ وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الاموات
والنور الذي من فقده ففي بحار الظلمات ۞ والشفا الذي من عدمه
حلت بقلبه جميع الاسقام ۞ واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه
كله هموم والام ۞ وهي روح الايمان والاعمال ۞ والمقامات والاحوال
التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه ۞ تحمل اثقال السايرين

Copyright © King Saud University